الفصل الثاني

بناء جملة (كاد) وأخواتها

تمهيـــد : أنـواع (كـاد) وأخواتها وعملهـا

1) أنواع (كاد) وأخواتها:

هذه الأفعال تسمى أفعال المقاربة، وليست كلها للمقاربة، وإنما هذه التسمية من باب تسمية الكل بالجزء، وهذه الأفعال على ثلاثة أنواع:

أ) قسم يدل على دنو الخبر وقرب ثبوته للفاعل دنو حصولٍ لجزم المتكلم بقرب حصوله، وذلك بأن يكون إخبار المتكلم بذلك الدنو لإشراف الخبر على حصوله للفاعل، وهذا القسم أفعال ثلاثة، وهو ما يسمى عند الجمهور أفعال المقاربة وهي: كاد وكرب و أوشك.

ب) قسم يدل على قرب حصول الخبر للفاعل قرب رجاء، وذلك بأن يكون هذا القرب بحسب رجاء المتكلم، وطمعه في حصول الخبر له، لا جزماً به، وهذا القسم أيضاً ثلاثة أفعال، وتسمى أفعال الرجاء وهي: عسى، وحرى، واخلولق.

ج) وقسم يدل على قرب الخبر قرب أخذٍ وشروع فيه، بأن يكون ذلك القرب بسبب جزم المتكلم بشروع الفاعل في الخبر بالتصدي لما يفضي إليه، وأفعال هذا القسم خمسة، وتسمى عند الجمهور أفعال الشروع وهي: أنشأ، طفق، أخذ، وجعل، وعلق.

وهذه الأفعال هي الشُّهرى من كل قسم، وتكاد تكون محل إجماع إلا أنه قد زيد في كل قسم عدد، ولا سيما أفعال الشروع فقد تجاوزت أفعال هذا الباب الأربعين.[1]

ولا خلاف في أنها أفعال إلا (عسى) فنقل الزاهد عن ثعلب أنها حرف ونُسب أيضاً إلى ابن السراج.

وملخص مذهبهم أنهم قالوا: إن (عسى) حرف ترجٍّ، واستدلوا على ذلك بأنها على معنى (لعل)، ولا تتصرف كما أن (لعل) لا تتصرف، وكما كانت (لعل) حرفاً بالإجماع وجب أن تكون (عسى) مثلها حرفاً دائماً لقوة الشبه بينهما.

وجمهور النحاة على أنها فعل بدليل اتصال تاء الفاعل بها، [2]ويرى بعضهم في عملها أنها على قسمين:

الأول: أنها حرف ترج ينصب الاسم ويرفع الخبر كـ(لعل).

الثاني: أنها فعل للرجاء يفيد القرب والدنو، يرفع المبتدأ وينصب الخبر.[3]

2) عمل (كاد) وأخواتها:

تدخل هذه الأفعال على ما أصله مبتدأ وخبر عند النحاة، فترفع الأول اسماً لها ويكون خبره خبراً لها، لكن الخبر في هذا الباب لا يكون إلا مضارعاً في موضع نصب، مسبوقاً بـ(أنْ)، هذا للترجي، وفي غيرها وجهان.

شروط عملها:

الأول:أن يكون رافعاً لضمير الاسم، فالأصل في أفعال هذا الباب أنها وضعت على أن تستعمل في الكلام لتدل على أن المرفوع بها هو الذي قد تلبس بالفعل المدلول عليه بخبرها أو شرع فيه؛ فلهذا كان مما لابد منه في استعمالها أن يكون الضمير في خبرها راجعاً إلى الاسم المرفوع بها، و إلاّ يكن الأمر على هذا لم يتحقق لها ما وضعت لتستعمل فيه، ومما يذكره النحاة مخالفاً لهذا قول الشاعر:

وقد جَعَلَتُ إذا ما قمت يُثْقِلني ثوبي، فأنهضُ نهضَ الشاربِ السكرِ[4]

حيث جاء في الجملة (جعلت يثقلني ثوبي) فاعلان مختلفان، فجعلت فاعله ضمير المتكلم، ويثقلني فاعله الاسم الظاهر (ثوبي) وهذا مما لا يجيزه النحاة؛ لأنّ هذا الأفعال يتعين في خبرها أن يكون رافعاً لضمير مستتر عائد إلى الاسم.[5]

---

(1) الأمهات (86).

(2) شرح ابن عقيل (171/1)، أوضح المسالك (301/1).

(3) الصاحبي (237)، مجاز القرآن لأبي عبيدة، تح: د.محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2/ 1981م، (134/1)، عدة السالك (301/1).

(4) ينسب هذا البيت إلى عمرو بن أحمر الباهلي، وهو من شواهد ابن هشام في أوضح المسالك، برقم (120)، والشاهد في (جعلت يثقلني ثوبي).

(5) أوضح المسالك (305/1).

وقد قام العلماء بتأويل هذا البيت، وجعلوا فاعل (يثقلني) ضميراً مستتراً يعود إلى اسم جعل، واسم جعل التاء، و(ثوبي) بدل منه، وجملة (يثقلني) في محل نصب خبر جعل، والضمير المستتر الذي هو فاعل (يثقل) عائد إلى (ثوبي) وأجيزت هذه المسألة في عسى فقط، فقد أجازوا فيها أن ترفع السببي، أي: الاسم الظاهر المضاف إلى ضمير يعود على الاسم المرفوع بـ(عسى)، مثل قول الشاعر:

ومـــاذا عســـى الحجـــاجُ يبلـــغُ جَهـــدُه

إذا نحـــــن جاوزنـــــا حفيـــــرَ زيـــــادِ[1]

ففي رواية الرفع، رَفعَ المضارعُ الواقع خبراً لعسى اسماً ظاهراً مضافاً إلى ضمير عائد إلى اسم عسى، وهو ما أجازه النحاة مع هذا الفعل وحده دون سائر أخواتها.[2]

«وذهب أبو حيان إلى التسوية بين عسى وغيرها من أفعال هذا الباب، ومنع في جميع هذه الأفعال أن يكون فاعل الفعل المضارع الواقع خبراً لهن غير الضمير العائد إلى الاسم.».[3]

الثاني: أن يكون الخبر جملة فعلية فعلها مضارع، وندر مجيئه فعلاً ماضياً في (جعل)، كقول ابن عباس رضي الله عنهما «فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطيع أن يخرجَ أرسلَ رسولاً»، [4]وقد استدل ابن مالك على جواز مجيء الفعل ماضياً بالحديث: «فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر.»[5]

الثالث: أن يكون الفعل مقروناً بـ(أن) إن كان الفعل (حرى و اخلولق) وأن يكون مجرداً منها، إن كان الفعل دالا على الشروع، والغالب في خبر (عسى وأوشك) الاقتران بها، و(كاد وكرب) على العكس من ذلك[6]، ومما سبق يتضح أن بناء الجملة في هذا الباب:

1) الفعل الناسخ سواءٌ أكان من أفعال المقاربة أم الرجاء أم الشروع.
2) الاسم، ويكون مرفوعاً بعدها.
3) الخبر، ولا بد أن تجتمع له صفات خاصة يجمعها: أن يكون جملة فعلية فعلها مضارع، رافعاً لضمير الاسم السابق، مقترناً بـ(أن) أو مجرداً منها.[1]

---

(1) البيت للفرزدق، انظر ديوانه، شرح د.علي مهدي زيتون، دار الجيل ـ بيروت،ط1/ 1997م، (141)، وفيه (خُلِّفنا) بدلا من (جاوزنا) والشاهد فيها (عسى الحجاج يبلغ جهده) والنحاة يستشهدون بهذه الجملة على:
1) مجيء خبر (عسى) فعلاً مضارعاً غير مقترن بـ(أن) المصدرية.
2) رفع المضارع الواقع خبراً لعسى اسماً ظاهراً مضافاً إلى ضمير عائد إلى اسم عسى وهذا المراد هنا، وأجازه النحاة مع هذا الفعل دون غيره.

(2) أوضح المسالك (306/1).
(3) عدة السالك (309/1).
(4) شواهد التوضيح (79).
(5) شواهد التوضيح شواهد التوضيح (79).
(6) أوضح المسالك (314/1).

- حقيقة ما تدخل عليه (كاد) وأخواتها:

يرى النحاة أن (كاد) وأخواتها تدخل على ما أصله جملة اسمية، وقد وقعوا في حرج عندما تدخل (أن) في خبر عسى، فقد جعلوا ذلك مخالفا للقياس لأنه من باب الإخبار بالمصدر عن الذات، وهو ممنوع عند النحويين.[2]

والراجح أنه لا يلزم أن ما تدخل عليه (كاد) أو إحدى أخواتها يكون مبتدأ وخبرا في الأصل، فقد تدخل على المصدر المؤول كقولهﷺ: « فوالله ليوشِكَنَّ أن تسمعَ بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزورَ هذا البيت لا تخاف.»[3]

وقد جعلها الفارسي من الأفعال المتعدية إلى مفعول، إذ قال: « عسيتُ يتعدى إلى مفعول»، [4]فهذه الأفعال لها سياقها الخاص بها، و هي تدل على معان لا تتحصل بدونها في التركيب، فتدل على معاني أزمنة لأفعال أخرى، فـ(كاد) تدل على مقاربة وقوع الفعل، و(عسى) تدل على رجاء وقوعه، و(طفق) تدل على الشروع في الفعل.[5]

المبحث الأول

الاستطالة في جملة كاد وأخواتها وأنماطها

يتضح لنا مما سبق أن الخبر في جملة (كاد) يكون جملة فعلية فعلها مضارع، وهذا يدل على أن استطالة جملة كاد بالتداخل هو الأصل فيها، ولذلك إذا جاءت تلك الأفعال ناصبة لخبر مفرد، إنما يكون على غير الأصل، ومما روي من ذلك في النثر: «عسى الغوير أبؤساً.»[6]، ومن الشعر:

فأبــــتُ إلـــى فَهَـــم ومـــا كِـــدتُ آيبـــا

---

(1) النحو المصفى (275).
(2) شرح ابن عقيل، (173/1)، الجملة تأليفها وأقسامها (122).
(3) السيرة، (236/4).
(4) المسائل المنثورة، م(283)،(242).
(5) التوطئة لأبي علي الشلوبين، تح: يوسف أحمد المطوع(رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة، دار التراث العربي - القاهر،1973م، (270).
(6) هذا مثل تقوله العرب، وأصله أنه كان قوم في غار فأنهار عليهم فماتوا جميعا، فضربوه مثلا لكل ما يخشى من الشر، انظر جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تح: أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية - بيروت،ط1/ 1988م،(45/2).

وكـــم مثلهـــا فارقتُهـــا وهـــي تصـــفرُ [1]

أكثـــرت فـــي العـــذل ملحـــاً دائمـــاً

لا تُكثِـــرَنْ إنّـــي عســـيتُ صـــائماً [2]

فمجيء الجملة في هذا الباب قصيرة ـ أي يكون خبرها مفرداً ـ إنما هو على غير الأصل، و ذلك لأن المقاربة والرجاء والشروع هي معان تحتاج إلى أفعال لتدل على ملابستها؛ لذلك لا تدخل هذه الأفعال إلا على جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها مضارع، وقد ينتقض ما قلناه في عسى عندما تكون تامة.

(1) هذا البيت لتأبط شرا، انظر ديوانه،تقديم: طلال حرب، دار صادر ت بيروت،ط1/1996م،(34)، وفيه (لم أك آيبا).
(2) البيت من الرجز وينسب لرؤبة، وهو من شواهد ابن هشام في تخليص الشواهد، م (80)،(309).

أنماط جملة كاد وأخواتها في السيرة:

لم ترد جميع أفعال هذا الباب في السيرة النبوية لابن هشام، والذي ورد منها (كاد، أوشك) للمقاربة، و(عسى) للرجاء، و(جعل وطفق وقام، وذهب) للشروع.

وقد قسمت هذه الأفعال بحسب نوع اسمها إلى أنماط هي:

النمط الأول: اسمها اسم ظاهر:

فمن الشعر قول أبي خراش الهذليّ:

تَكـــــــادُ يـــــــداهُ تُســـــــلمانِ إزارَه

مـــن الجُـــودِ لمّـــا أذْلَفَتْـــهُ الشّـــمائِلُ [1]

ومن النثر قول ابن هشام: «كادت الشمسُ تَغْتَدِل»[2]، وتدل كاد على زمن الماضي المقاربي[3]؛ لأن معنى (كاد) قارب، و(يكاد) يقارب[4]، أي قاربت الشمس الاعتدال فيما مضى، و(كاد) يكون التصرف فيها أكثر من غيرها من أفعال هذا الباب، فالمحكي في كاد ماضيها ومضارعها واسم فاعلها ومصدرها. [5]

فخبر (كاد) في الجملتين السابقتين وفي كل الجمل التي وردت في السيرة جاء من دون (أنْ).

وقد جوز ابن مالك وقوع خبر كاد مقروناً بـ(أن) في غير ضرورة، قال: « وهو ما خفي على أكثر النحويين »[6]، و استدل بأحاديث منها قول عمر: «ما كِدتُ أن أصليَ العصرَ حتى كادت الشمس تَغْرُبُ»[7]، وقول جبير بن مُطعِم: «كاد قلبي أن يطيرَ.»[8]

وقال ابن هشام: «الغالب تجرد خبر (كاد وكرب) من (أن)، وربما اقترن بها ولم يحفظ سيبويه في خبر (كرب) إلا التجرد، فمن تجرد كاد قوله تعالى: {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}[9]، ومن اقترانه قول عمر ﷺ: (ما كدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب).» [10]

---

(1) السيرة (124/4)، أذلفته: أجهدته،الشمائل:الخصال الحميدة.
(2) السيرة (105/2).
(3) اللغة العربية معناها ومبناها (245).
(4) مجالس ثعلب (141/1).
(5) الأمهات (94).
(6) شواهد التوضيح (98-101).
(7) أخرجه البخاري في (10) كتاب الأذان، (26) باب قول الرجل (ما صلينا).
(8) أخرجه البخاري في (65) كتاب التفسير، (52) سورة الطور، 1- باب حدثنا عبد الله بن يوسف.
(9) البقرة (71).
(10) تخليص الشواهد (329).

ومما فعله أوشك من هذا النمط في السيرة النبوية قوله ﷺ: «فو الله ليوشِكَنّ المالُ أن يفيضَ فيهم حتى لا يجدون من يأْخُذُه»[1]، وقول كعب بن مالك: «وليوشِكَنّ الله أن يسخطَ عليّ»[2].

ويدل الفعل (يوشك) بحسب السياق على مقاربة حصول الفعل في المستقبل، فليس بالضرورة أن يدل الفعل على الحال إذا جاء على صيغة المضارع.

ومما فعله عسى من هذا النمط ما نسبه ابن إسحاق إلى زوج حليمة السعدية: «عسى اللهُ أن يجعلَ لنا فيه بركةً»[3]، وقول عبد المطلب: «عسى اللهُ أن يرزقنا ماءً»[4]، وعسى من المخلوقين طمع ورجاء.

- اقتران خبر عسى بـ(أن):

يكثر اقتران خبر عسى بـ(أن) وتجرده منها قليل، وهو مذهب سيبويه[5]، ومذهب جمهور البصريين أنه لا يتجرد خبرها من أن) إلا في الشعر، ولم يرد في القران إلا مقترناً بـ(أن)»[6]، وقد وقع النحاة في حرج من دخول (أن) على خبر عسى حيث جعلوا ذلك مخالفاً للقياس لأنه من باب الإخبار بالمصدر المؤول عن الذات، وهو ممنوع عند الجمهور.[7]

ولذلك ذهبوا يتأولون ما هو من ذلك حتى تتوافق هذه الجمل مع قواعدهم، ففي قولنا: (عسى زيد أن يقوم) ذكروا فيها تأويلات أربعة، وذلك بسبب اقتران أن بالفعل وجَعْلها خبراً عن (عسى) وهو مصدر مؤول، لأنه يلزم من ذلك الأخبار باسم المعنى، وهو المصدر عن اسم الذات، وهو(زيد) وقالوا فيها بأوجه:

الأول: أن الكلام على تقدير مضاف إما قبل الاسم، وكأنك قلت: (عسى أمر زيد القيام)، وإما قبل الخبر، وكأنك قلت: (عسى زيد صاحب القيام).

الثاني: أن هذا المصدر في تأويل الصفة، وكأنك قد قلت، عسى زيد قائماً، ومن المعروف أن النحاة يمنعون مجي خبر (عسى) مفرداً، فكيف يؤولون هذا بذاك.

الثالث: أن الكلام على ظاهره، والمقصود المبالغة، في (زيد) حتى كأنه هو نفس القيام، وذكروا أن هذه الوجوه الثلاثة جارية على كل مصدر صريح أو مؤول يخبر عن أسم الذات أو ينعت به اسم الذات، أو يجيء حالاً منه.

الرابع: أنَّ (أنْ) ليست مصدرية في هذا الموضع، بل هي زائدة فكأنك قلت: (عسى زيد يقوم)، وقد ضُعِّف هذا الوجه ؛لأنها « لو كانت زائدة لم تعمل النصب،

---

(1) السيرة (236/4).
(2) السيرة (187/4).
(3) السيرة (200/1).
(4) السيرة (181/1).
(5) الكتاب (158/3،99).
(6) شرح ابن عقيل (173/1).
(7) الجملة تأليفها وأقسامها (122).

ولسقطت من الكلام أحياناً، وهي لا تسقط مع عسى إلا نادراً أو لضرورة الشعر. »[1]

ويرى بعضهم أنها مصدرية ناصبة ويغتفر في هذا الباب كله الأخبار بالمعنى عن الجثة[2]، ويرى بعضهم أنه يؤتى بها لتراخي الفعل وليدل على الاستقبال، فهي ليست مصدرية.[3]

والـ□حيح أنّه لا حرج في دخول (أنْ) على (عسى) بل دخولها أصل؛ لأن (عسى) موضوعة للرجاء والرجاء مستقبل، و(أنْ) تخلص الفعل للاستقبال[4]، ولا ضرورة للتأويل وحتى لو أولناه بذلك فلتخرم القاعدة التي ذكرها النحويون بعدم جواز الإخبار عن الجثة باسم المعنى.

ومما فعله للشروع من هذا النمط قول ابن إسحاق: «فجعل الدمُ يسيل على وجهه ﷺ»[5]، وقوله: «وجعل الناسُ يحثون على الجيش التراب»،[6] والأفعال الدالة على الشروع لا يجوز اقتران خبرها بـ(أن) لأنها تخلص الفعل للاستقبال، والمقصود بالفعل الحال فتنافيا[7]، فتنافيا[7]، ويدل الفعل في الجملتين على الماضي الشروعي.

النمط الثاني: الاسم ضمير: وهذا النمط نوعان:

النوع الأول: ما جاء فيه الضمير بارزاً ومنه قول ابن إسحاق: «أما أنا فكدتُّ أهلك»[8]، وقوله: «فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم»[9]، وأوشك يكثر اقتران اقتران خبرها بـ(أن) ويقل حذفها منه؛[10] لذلك يغلب علي استخدامه فيما يفيد الاستقبال.

ومما فعله للماضي الشروعي قولهﷺ: «ثم جعلتُ أحملُ الحجارةَ على رقبتي»[11]، وقول أبي رُهم كلثوم بن الحصين: «فطفقتُ استيقظُ وقد دنت راحلتي من راحلة رسول الله[12]... فطفقت أحوزُ راحلتي»[13]، ومن الأفعال التي ظهر للباحث مجيئها للشروع: الفعل (ذهب) في قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «فذهبت التمسه في عنقي»[14] تعني العِقد، ومعنى ذهبت (جعلت) كما يدل عليه السياق.

---

(1) عدة السالك في تحقيق أوضح المسالك (310/1).
(2) النحو الوافي (616/1).
(3) معاني النحو، (247).
(4) كتاب أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تح: محمد بهجة البيطار،المجمع العلمي ـ دمشق، د.ت، (127).
(5) السيرة (89/3).
(6) السيرة (30/4)، وانظر (288،219).
(7) شرح ابن عقيل (175/1).
(8) السيرة (244/2).
(9) السيرة (95/2)، وانظر (347/3).
(10) شرح ابن عقيل (174/1).
(11) السيرة (220/1)، وانظر(307)، (91/3).
(12) السيرة (181/4).
(13) السيرة (182/4)، أحوز: أُبْعِدُ.
(14) السيرة (326/3).

ومما فعله (عسى) قول أبي الهيثم بن التَّيِّهان: «فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجعَ إلى قومك وتدعنا.»[1]

النوع الثاني: الضمير المستتر، فمما أضمر فيه اسم (كاد) قول عباس بن مرداس:

نَـــــؤمُ الجمـــــعَ جمـــــعَ بَنِـــــي قَسِـــــيٍّ

علـــــى حنَـــــقٍ نكـــــادُ لـــــه نَطيـــــرُ[2]

ومن النثر قول ابن إسحاق: «حتى إن عُثْنونَه ليكادُ يمسُّ واسطةَ الرَّحل»[3]، وهو يفيد الحال المقاربي بحسب السياق.

- **إضمار الشأن في كاد:** تُخَصُّ (كاد) في هذا الباب من غيرها من الأفعال بإضمار الشأن، [4] وقد جاء من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [5]، ففي اسم (كاد) في الآية ثلاثة أوجه:

1. الاسم ضمير الشأن والجملة بعده في موضع نصب.
2. الاسم مضمر تقديره من بعدما كاد القوم، والعائد على هذا الضمير في منهم.
3. الاسم (القلوب)، و(يزيغ) في نية التأخير، وفيه ضمير فاعل.[6]

وينطبق هذا الإضمار الذي في الآية على أوجهه التي ذكرها النحاة على قول عائشة رضي الله عنها: «وتساور الناس حتى كادَ يكونُ بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شرٌ»[7]، و(يكون) هنا تامة.

ومما أضمر فيه الاسم مع (عسى) قول عامر بن ظرب العدوانيّ: «عسى أنْ تأتيَ مما أنا فيه بفرج»[8]، وقول ابن إسحاق: «عسى أن لا يعدَمَكم منه رأياً ونصحاً.»[9]

---

(1) السيرة (55/2).
(2) السيرة (101/4).
(3) السيرة (53/4).
(4) شرح الرضي على الكافية (218/4).
(5) التوبة (117).
(6) الكتاب(71/1)، معاني القرآن للأخفش (562/2)، التبيان (431/2).
(7) السيرة (329/3).
(8) السيرة (159/1).
(9) السيرة (94/2).

المبحث الثاني

عوارض بناء جملة كاد وأخواتها

أولا :التقديم والتأخير

يشترط النحاة في هذا الباب لعمل (كاد) وأخواتها وجوب تقديم الفعل على معموليه، فلا يصح تقديمهما معاً، ولا تقديم أحدهما عليها، [1] والتقديم في هذا الباب يُشَكِّل أنماطاً جديدة، قد تخرج من باب (كاد) وأخواتها إلى أن تصير أفعالاً تامةً.

أنماط تغيير الرتبة:

النمط الأول: (الاسم + عسى + أن + الفعل).

اختصت (عسى) من بين أفعال هذا الباب بأنها إذا تقدم عليها اسم جاز أن يضمر فيها ضمير يعود على الاسم السابق، وهي لغة تميم، وجاز تجريدها من الضمير، وهي لغة الحجاز، وذلك نحو: (زيدٌ عسى أنْ يقوم)، فعلى لغة تميم يكون في (عسى) ضمير مستتر يعود على زيد، وأن يقوم في موضع نصب بـ(عسى) وعلى لغة الحجاز لا ضمير في (عسى) و(أن يقوم) في موضع رفع بـ(عسى).

وأما غير (عسى) من أفعال هذا الباب فيجب الإضمار فيه، فتقول: (الزيدان جعلا ينظمان)، ولا يجوز ترك الإضمار، فلا تقل: (الزيدان جعل ينظمان)، كما تقول: (الزيدان عسى أن يقوما).[2]

وعندما نتأمل في الجملة (زيد عسى أن يقوم) يكون لأصلها احتمالان:

الأول: أنها جملة اسميةٌ وهي (زيد يقوم) ثم جيء بـ(عسى) للدلالة على رجاء وقوع الفعل، والطمع في قيام زيد، فأقحمت في الوسط فأصبحت الجملة (زيد عسى أن يقوم)، وبهذا استخدمها أهل الحجاز، فليست هي ناقصة عندهم وليس هناك تقديم.

الثاني: أن الجملة في الأصل هي: عسى زيد أن يقوم، ثم قدم (زيد)، فأصبحت: (زيد عسى أن يقوم)، وبقي ضمير بعد عسى يدل على(زيد) و(زيد) اسمها، وتكون هنا ناقصة، وبهذا استخدمتها تميم[3]، وعلى هذا الوجه الثاني يكون في جملة (عسى) تقديم اسمها عليها، عليها، ويظهر أن هذا الاختلاف واقع في (عسى) لأن العرب استخدمتها على الوجهين، وتعليل النحاة إنما هو بحسب استقرائهم لاستخدام العرب لها.

---

(1) النحو الوافي (626/1).
(2) شرح ابن عقيل (179/1).
(3) شرح ابن عقيل (179/1).

وأما ما عدا عسى من الأفعال فإنه من الواضح أنها تبقى على نقصانها لأنها تتصرف، ويصح إضمار اسم لها، ومما ورد من السيرة من هذا وفيه إضمار الاسم في (كاد) من الشعر قول ابي سفيان بن حرب:

كـــادتْ تُهَـــدُّ مـــن الأصـــواتِ راحلتـــي

إذْ ســـــالت الأرضُ بـــــالجُرْدِ الأبابيـــــلِ [1]

ومما فعله للشروع قول يزيد بن حاطب: «فجعل يقولُ أبوه جَنَّةٌ - والله - من حَرْمَل.»[2]

النمط الثاني: (عسى+(أن)والفعل + الاسم):

وهذا النمط له تأويلات عند النحاة هي:

الأول: إذا جاء بعد (عسى) فعل وجاء بعده الاسم مثل:(عسى أن يقوم زيد)، فذهب أبو على الشّلوبين إلى أنه يجب أن يكون الظاهر مرفوعاً بالفعل الذي بعد (أنْ)، وأن وما بعدها فاعل عسى، وهي تامة ولا خبر لها.[3]

وعلى هذا يكون هناك تداخل من جهة أن فاعل (عسى) مصدر مؤول من(أن + الفعل + فاعل) وسد المصدر المؤول هنا مسد الفاعل إذ أُخْبر به نيابة عن جملة «لأن الحروف المصدرية مهيئة لإقامة الجملة مقام المفرد.»[4]

الثاني: ونسب إلى المبرد والسيرافي والفارسي تجويز وجه آخر، وهو أن يكون ما بعد الفعل الذي بعد (أن) مرفوعاً بـ(عسى) اسماً لها، و(أن) والفعل في موضع نصب بـ(عسى) خبراً لها، وتقدم على الاسم، والفعل الذي بعد (أن) فاعله ضمير يعود على فاعل (عسى) وجاز عوده عليه وإن تأخر لأنه مقدم في النية.[5]

وهذا الوجه هو الذي يكون فيه تأخير الاسم وتقديم الخبر؛ إذ أنّ الأصل في (عسى أن يقوم زيد) هو (عسى زيد أن يقوم) فقدم الخبر (أن يقوم) للاهتمام و أخر الاسم فصارت الجملة (عسى أن يقوم زيد).

الثالث: أن يكون الاسم المتأخر مبتدأ مؤخرا و(عسى) فعل تام، وفاعله المصدر المؤول، والجملة بعد (عسى) وفاعلها في محل رفع خبر المبتدأ المتأخر، وقد ورد من استعمالات (عسى) أنها فعل تُسْند إلى (أن والفعل) كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾[6]وهي هنا فعل تام عند النحاة.[7]

---

(1) السيرة (114/3)، وانظر (118/4، 138).
(2) السيرة (138/2).
(3) التوطئة (270).
(4) معاني النحو (247/1).
(5) المقتضب (70/3)، المسائل المنثورة، م(283)، (242)، شرح ابن عقيل (178/1).
(6) البقرة (216).
(7) التبيان (92/1).

وعلى هذا المعنى يترجح الرأي الأول وهو ما ذهب إليه الشلوبين ومن تابعه، وهي أن تكون تامة، وما بعدها فاعل ولا خبر لها، ويشترك في كل هذه الأحكام والأوجه المحتملة مع عسى الفعلان (اخلولق وأوشك)؛ لأنه يجب اقتران خبرهما بـ(أن)، وهو الأصل لدلالة الاستقبال.

وأكثر ما جاء في السيرة النبوية ما كان من النمط الثاني، ومنه في النثر قول ذي نَفَر الحميريّ: «لا تقتلني فإنه عسى أن يكونَ بقائي معك خيراً لك من قتلي»، [1]وقد أُسندت عسى في الجملة إلى المصدر المؤول (أن يكون بقائي خيراً لك من قتلي)، و(عسى) تامة هنا على الأرجح.

وقد اختصت الأفعال (عسى و اخلولق وأوشك) بأنها كما استعملت ناقصة فقد استعملت تامة، فالتامة هي المسندة إلى (أن) والفعل نحو: (عسى أن يقوم، واخلولق أن يأتي، وأوشك أن يفعل) فـ(أن) والفعل في موضع رفع فاعل لـ(عسى واخلولق وأوشك)، ويسد المصدر مسد اسمها وخبرها، [2]ومما جاء في السيرة النبوية أيضا قولهﷺ: «وأيم الله ليوشِكَنَّ أن تسمعَ بالقصور البيض من أرض بابل وقد فتحت»، [3] وقول ابن إسحاق: «عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثة.»[4]

ثانيا: زيادة (كاد)

لم يُذكر ورود أحد الأفعال في هذا الباب زائدا، إلا (كاد) فقد ذُكر فيها على أحد الأقوال أنها ترد زائدة، و قد نسب ذلك إلى الأخفش [5]، واستدل بقول حسان:

وتكـــــادُ تَكْسَـــــلُ أنْ تجـــــيءَ فراشِـــــها

فـــي جســـم خَرْعَبَـــةٍ وحُسْـــنِ قَـــوامِ[6]

ورد أبو حيان ذالك متأولا، وقال: «لا حجة فيه». [7]

والراجح أنها في البيت ليست زائدة؛ إذ لو كانت كذلك لتغير المعنى، إذ المراد مقاربتها للكسل دون حصوله.

ثالثا: الحذف

الحذف في هذا الباب قليل ويكاد ينحصر في حذف الخبر مع كاد ويستشهد على ذلك بقولهم: « من تأنّى أصابَ أو كادَ، ومن استعجل أخطأ أو كادَ.»[1]

---

(1) السيرة (79/1).
(2) شرح ابن عقيل (178/1).
(3) السيرة (236/4).
(4) السيرة (319/3)، وانظر(42/2)،(143/4).
(5) الأمهات (90).
(6) السيرة (20/3)، والخرعبة: اللينة الحسنة الخلق.
(7) الارتشاف (292/3).

وجاء في السيرة النبوية قول أبي حدرد الأسلمي: «فاستَقَلَّتْ وما كَادَتْ» [2]، فقد حُذف الخبر جوازا، وتقديره: وما كادت تستقل، وهو من الحذف الذي عليه دليل في السياق، والحذف في هذا الباب قليل.

الفصل الثالث

بناء جملة (ظن) وأخواتها

تمهيد

أ) أقسامها:

القسم الأول: أفعال القلوب، وتسمى أيضاً أفعال الشك واليقين وهي أربعة أنواع:

1) ما يفيد في الخبر يقيناً، وهو أربعة: (وجد، وألفى، درى، تعلّم)
2) ما يفيد في الخبر رجحاناً، وهو خمسة: (جعل، حجا، عدّ، هب، زعم).
3) ما يرد بالوجهين، والغالب كونه لليقين، وهو اثنان: (رأى، عَلِم).
4) ما يرد بهما: والغالب كونه للرجحان، وهو ثلاثة: (ظن، حسب، خال).

القسم الثاني: أفعال التصيير، ويقال لها أيضاً: أفعال التحويل، وأشهرها: (جعل، رد، اتخذ، تَخِذ، صيّر، هب).[3]

ب) حقيقة منصوبيها:

دار الخلاف بين النحاة في أصل ما تدخل عليه ظن و أخواتها، أهما مبتدأ وخبر أم هما غير ذلك، فيرى النحاة البصريون والكوفيون أن هذه الأفعال تدخل على ما أصله مبتدأ وخبر فتنصبهما، ثم اختلفوا في الاصطلاح على المنصوبين:

فالبصريون يجعلونهما مفعولين، وأما الكوفيون فينسب إليهم أن الثاني منصوب على الحال، والصحيح أن الفراء يجعل المنصوبين اسمها وخبرها.[4]

وأما السهيليّ فيذهب إلى أن ما تدخل عليه ليس أصله مبتدأ وخبرا، وإنما هي بمنزلة (أعطيت) في أنها استعملت مع مفعوليها ابتداءً، واستدل بذلك بقوله:

(ظننت زيدا عمرا)، فلا يجوز أن يكون زيد هو عمرو إلا على جهة التشبيه، وهو غير مراد هنا. [1]

---

(1) مغني اللبيب (825).
(2) السيرة (286/4).
(3) الأمهات (72).
(4) كتاب ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، لعبداللطيف بن أبي بكر الشرجيّ الزبيديّ، تح: د/طارق الجنابي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة - بيروت،ط1/ 1987م، (121)، ومعاني القرآن للفراء (106/2،84،83).